ان قضايا العقيدة والمصير تلحّ، أكثر ما تلح، على المرء في أخريات حياته ودنوّه من نهاية الأجل، من جهة أخرى.

وعلى قصة سليمان المذكورة في التوراة، كتب ولز انها، في صورتها هذه، قد وضعها كاتب معاصر لسليمان مفتون به، ممّا جعله شغوفاً باضافة مبالغات حادّة تجانب الواقع، من حيث رخاء المملكة، وتجميد القائم عليها: «وممّا يشهد بقوة تأثير القول المكتوب وتغلّبه على الحقائق الماثلة في أذهان الناس ان رواية الكتاب المقدس هذه قد استطاعت ان تحمل العالم المسيحي، بل والاسلامي، على الاعتقاد بأن الملك سليمان لم يكن أشد الملوك عظمة وابّهة وحسب، بل كان أيضاً من أحكم الرجال؛ فان سفر الملوك يسهب في الكتابة عن أقصى ما وصل اليه مجده من ابّهة وفخامة. واذا قيست هذه الى جمال وعجائب المباني والتنظيمات التي قام بها عاهل عظيم كتحوتمس الثالث، أو رمسيس الثاني، أو نفر من الفراعين الآخرين، أو سرجون الثاني، أو سردانا بالوس، أو نبوخذ نصر العظيم، فانها تبدو من التوافه الهينات.

«كان معبده من الداخل عشرين ذراعاً عرضاً أي ما يقرب من خمسة وثلاثين قدماً (وهذا لا يزيد على عرض فيلا للسكن العادية)، وستين ذراعاً أي مئة قدم طولاً. وتختلف الأقوال في تقدير الذراع، وهو على أكبر تقدير، وعلى هذا الاعتبار، يتّسع العرض فيصبح سبعين قدماً ليس غير، ويصبح الطول مئتي قدم.

«فاما حكمته ومعرفته بأصول الحكم وتدبير السياسة، فما القارىء بمحتاج الى ان يجاوز الكتاب المقدس كي يعرف ان سليمان لم يتجاوز، بالنسبة الى ملك حيرام، منزلة المعاون له على تحقيق خططه ومشروعاته الواسعة النطاق. فامّا مملكته، فهي رهينة تتجاذبها مصر وفينيقيا، وترجع أهميتها الى ضعف مصر الموقوت، ذلك الضعف الذي أثار طموح الفينيقيين والزمهم باسترضاء القابض على مفتاح طريق آخر للتجارة الى الشرق. كان سليمان في عين شعبه ملكاً مبذّراً جائراً، وقد أخذت مملكته تتداعى قبل موته، تداعياً ظاهراً، وتتجزّأ بدداً»(٦١).

حقيقة مملكة داود وسليمان

امعاناً في معرفة حقيقة مملكة داود، ومن بعده سليمان، هذه المعرفة التي ذكرنا قبلاً طرفاً من أخبار مؤسسيها بشكل مطوّل نسبياً، عامدين، وذلك لأن هذه الفترة هي التي يركّز عليها من يدّعون، اليوم، بأنهم وريثو أمجادها من الغزاة على أرض فلسطين المحتلة، متخذين من قيامها «حقاً تاريخياً» أقاموا به الدنيا ولم يقعدوها؛ أقول زيادة في معرفة حقيقة هذه المملكة وحدودها، سنطوف بنُقول تاريخية ونقرأ ما كتبه باحثون مرموقو المكانة العلمية في هذا المجال:

كتب المؤرخ الانكليزي جفرين: «لقد حكم داود نحواً من أربعين عاماً من تاريخ حوالى ١٠١٦ ق.م.؛ وخلفه سليمان، وحكم ما يماثل هذه المدة. وبعد هذين، انهار كل شيء. لا بدّ انه اقتضى داود ان يصرف جزءاً لا بأس به من النصف الاول من فترة حكمه لكي يبلغ أوج سلطانه. امّا سليمان، فقد أخذ يبيع، قبل نهاية حكمه، أجزاء من مملكته، أو يفقدها. فدعنا نسقط عشر سنوات من هذه الفترة وهذا هو أقلّ ما يمكن لنا ان نسقطه عقلاً من مجموع فترتي حكم سليمان وداود. وعندئذٍ يتبقى سبعون عاماً... ولم يحدث الّا في بحر هذه السبعين سنة ان سيطر العجاف على شيء يقرب من ثلثي البلاد»(٦٢).